

مَنْظُومَةٌ فِي السَّيْرِ إِلَى اللَّهِ وَالْدَّارِ الْآخِرَةِ

لِلشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ نَاصِرِ السَّعْدِيِّ

(1307 - 1376 هـ)

تقديم

الشَّيْخِ عَزِّ الدِّينِ رَمْضَانِي

اعتنى بها

أبو عبد الرحمن اسماعيل بن عمر الجزائري

- ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سُورَةُ الْبَقَرَةِ ، الآية: 129]

- ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [سُورَةُ الْبَقَرَةِ ، الآية: 151]

- ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ ، الآية: 164]

- ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [سُورَةُ الْجُمُعَةِ ، الآية: 2]

تقديم الشيخ عز الدين رمضاني¹ - حفظه الله ورعاه -

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

فهذه المجموعة المباركة من سلسلة: "تقريب المتون العلمية" لمُعَدِّها والمُعْتَنِي بها الأخ الفاضل؛ طالب العلم التجيب²: أبو عبد الرحمن اسماعيل بن عمر الجزائري، جُهِدَ يَنْضَاف إلى حلقات طلاب العلم، ودُرَّة ثَمِينة لِمَنْ رَامَ الطَّلَب والتَّحْصِيلَ على أُسُسٍ مَتِينَةٍ، وقَوَاعِدَ رَاسِخَةٍ، وَمَفَاهِيمَ مُؤَصَّلَةٍ، وَسَبِيلٍ وَاضِحَةٍ، وَفَقَّ مَنَهِجٍ مُحَقِّقٍ وَعِلْمٍ مُدَقِّقٍ، تَسِيرُ بِصَاحِبِهَا فِي رَكَبِ أُمَّةِ السُّنَّةِ ودُعَاةِ الْحَقِّ وَالْهُدَى.

وقد اجْتَهَدَ الأخُ الفاضلُ - حفظه الله - في إِخْرَاجِهَا فِي صُورَةٍ بَهِيَّةٍ خَطًّا وَتَشْكِيلًا، حَيْثُ اعْتَمَدَ عَلَى بَعْضِ النُّسخِ الْخَطِيئَةِ مع إثباتِ نِسْبَتِهَا إِلَى صَاحِبِهَا، وَقَدْ أَبَانَ عَنْ مَنَهِجِهِ فِي الْعَمَلِ عَلَى ذَلِكَ الْمَتْنِ أَوْ النَّظْمِ، وَيَجْدُ الْقَارِئُ لِبَعْضِ هَذِهِ الْمُتُونِ نَظْمًا مُوَافِقًا لِلْمَنْثُورِ، لِتَقْرِيبِ الْفَرْقِ وَتَدْرِيبِ الطَّالِبِ عَلَى تَرْسِيخِ مَعْلُومِهِ وَضَبْطِ مَحْفُوظِهِ.

1 شيخنا الفاضل ارتبط بالعلم والدعوة وارتبطت به، حتى أصبح فيها وبها أشهر من نار على علم، شيخ في الخطابة والتدريس، وشيخ في التعليم والتربية، وشيخ في الأدب والخلق، وشيخ في المنهج والاعتقاد، وشيخ في التفسير وعلومه، والحديث وفنونه، والفقه أصوله وفروعه.. زاده الله علما وعملا ودعوة، ورزقنا الانتفاع منه وبه، وإنا معاشر الطلبة في حقه لمقصرون، فالأدب الأدب رعاكم الله مع مشايخنا في القول والفعل، عند حضورهم وحال غيابهم، فذلك من بركة العلم وأثر تعظيم أهله.

2 هذا من حسن ظن الشيخ بي وإلا فالله يعلم أي ضعيف في الطلب، ضعيف في العمل، ضعيف في الدعوة.. والله أسأل أن يتجاوز عني وعن كل مقصر، وهذا أقوله بيانا لحقيقة الحال ومعرفة بقدر التفريط والتقصير وليس تواضعا أو تورعا...

والله الكَرِيمُ أَسْأَلُ أَنْ يَنْفَعَ بِهَا مُعَدَّهَا وَقَارِئَهَا وَحَافِظَهَا وَشَارِحَهَا وَمُؤَزِّعَهَا، وَكُلَّ مَنْ أَعَانَ عَلَى
نَشْرِهَا وَأَسْهَمَ فِي تَعْمِيمِ الْفَائِدَةِ بِهَا، إِنَّهُ سُبْحَانَهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ.
وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ.

وَكُتِبَ

أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَزَّ الدِّينِ رَمَضَانِي

عَشِيَّةُ الْأَحَدِ 20 مِنْ ذِي الْحِجَّةِ 1436 هـ

الْمُؤَافِقُ لـ 4 مِنْ أَكْتُوبَرِ سَنَةِ 2015 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المُقَدِّمَةُ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،
مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ
مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ
رَقِيبًا) [سورة النساء، الآية: 1].

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) [سورة آل
عمران، الآية: 102].

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ
ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) [سورة الأحزاب، الآيتان:
70، 71].

أما بعد:

فإنَّ أصدقَ الحديثِ كلامُ اللهِ، و خيرَ الهدي هديُّ محمدٍ صلى اللهُ عليه وسلم، وشرُّ الأمور
محدثاتها وكلُّ محدثةٍ بدعة، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلُّ ضلالةٍ في النار.¹

1 هذه الخطبة تسمى بخطبة الحاجة، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمها أصحابه، أخرجهما الإمام مسلم في صحيحه
بدون ذكر الآيات برقم (867)، وقد أخرجهما أصحاب السنن منهم أبوداود في سننه برقم (2118)، والنسائي في المجتبى برقم

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَتَحَ عَلَى قُلُوبِ أَحِبَّائِهِ مِنْ فَيْحِ مَحَبَّتِهِ، فَعَبَقَ فِيهِمْ نَشْرَهُ
وَفَاحَ، وَشَرَحَ صُدُورَ أَوْلِيَائِهِ بِنُورِ مَعْرِفَتِهِ فَأَشْرَقَ عَلَيْهِمْ نُورُهُ وَلَاخَ، أَحْيَاهُمْ بَيْنَ رَجَائِهِ
وَحَشْيَتِهِ، وَعَذَّاهُمْ بِوَلَائِهِ وَمَحَبَّتِهِ فَلَا تَسْأَلُ عَمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ السُّرُورِ وَالْأَفْرَاحِ، فَسُبْحَانَ مَنْ ذَكَرَهُ
قُوْتُ الْقُلُوبِ وَقُرَّةُ الْعُيُونِ وَسُرُورُ النُّفُوسِ وَرُوحُ الْحَيَاةِ وَحَيَاةُ الْأَرْوَاحِ، وَتَبَارَكَ الَّذِي مِنْ
حَشْيَتِهِ تَتَجَافَى عَنِ الْمَضَاجِعِ الْجَنُوبِ، وَبِرَجَاءِ رَحْمَتِهِ تَتَنَفَّسُ عَنْ نُفُوسِ الْخَائِفِينَ الْكُرُوبِ،
وَبِرُوحِ مَحَبَّتِهِ تَطْمِئُنُّ الْقُلُوبُ وَتَرْتَاحُ، مَا طَابَتْ الدُّنْيَا إِلَّا بِذِكْرِهِ وَمَعْرِفَتِهِ، وَلَا الْآخِرَةُ إِلَّا بِقُرْبِهِ
وَرُؤُوسِهِ، فَلَوْ احْتَجَبَ عَنِ أَهْلِ الْجَنَّةِ لَأَسْتَغَاثَ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ كَمَا يَسْتَغِيثُ أَهْلُ النَّارِ فِي
النَّارِ وَأَعْلَنُوا بِالصَّبَاحِ.

كُلُّ قُلُوبٍ تَأَلَّهَتْ سِوَاهُ فَهِيَ فَاسِدَةٌ لَيْسَ لَهَا صِلَاحٌ، وَكُلُّ صُدُورٍ خَلَتْ مِنْ هَيْبَتِهِ
وَتَقَوَّاهُ فَهِيَ ضَيِّقَةٌ لَيْسَ لَهَا انْشِرَاحٌ، وَكُلُّ نُفُوسٍ أَعْرَضَتْ عَنْ ذِكْرِهِ فَهِيَ مُظْلِمَةٌ الْأَرْجَاءِ
وَالنَّوَاحِ ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [سُورَةُ النُّورِ ، الآية:
35].

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةٌ اسْتَمِدَّهَا سِلَاحاً عَلَى الْأَعْدَاءِ
فَنِعِمَّ الْجَنَّةُ وَنِعِمَّ السِّلَاحُ، وَاسْتَعِدَّهَا مِفْتَاحاً لِبَابِ دَارِ الْبَقَاءِ فَمَا لِلْجَنَّةِ سِوَاهَا مِفْتَاحٌ.
وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، بَعَثَهُ مُفْصِحاً بِتَوْحِيدِهِ أَيَّ إِفْصَاحٍ، مُوَضِّحاً لِعَبِيدِهِ
سَبِيلَ الْهُدَى كُلَّ الْإِتِّصَاحِ، فَلَمْ يَزَلْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَرِّفُ بِاللَّهِ حَتَّى يُعَرِّفَ تَوْحِيدَهُ فِي

(1404)، وابن ماجه في سننه برقم (1892)، وابن خزيمة في صحيحه برقم (1785) وغيرهم من حديث ابن عباس وجابر
وابن مسعود رضي الله عنهم وهي مركبة من عدة روايات، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن هذه الخطبة:
«ولهذا استحبت، وفُعِلَتْ في مخاطبة الناس بالعلم عموماً وخصوصاً من تعليم الكتاب والسنة والفقه في ذلك، وموعظة
الناس، ومجادلتهم أن يفتتح بهذه الخطبة الشرعية النبوية، وكان الذي عليه شيوخ زماننا الذين أدركناهم وأخذنا عنهم وغيرهم
يفتتحون مجالس التفسير أو الفقه في الجوامع والمدارس وغيرها بخطبة أخرى... ثم قال عن هذه الخطبة: فإن مراعاة السنن
الشرعية في الأقوال والأعمال في جميع العبادات والعادات، هو كمال الصراط المستقيم، وما سوى ذلك إن لم يكن منهياً
عنه، فإنه منقوص مرجوح، إذ خير الهدى هدي محمد - صلى الله عليه وسلم - «مجموع فتاوى شيخ الإسلام: (287/18)-
(288).

جَمِيعِ التَّوَّاحِ، وَيُخَوِّفُ بِاللَّهِ حَتَّى لَأَنْتِ الْقُلُوبُ الْقَاسِيَةُ وَصَلَحَتْ كُلُّ الصَّلَاحِ، وَيُذَكِّرُ بِآلَاءِ اللَّهِ حَتَّى انْشَرَحَتْ الْقُلُوبُ بِمَحَبَّتِهِ أَعْظَمَ انْشِرَاحٍ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ صَلَاةً تَكُونُ سَبَبًا لِلْفَلَاحِ، فَحَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ وَحَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ.¹

اعْلَمْ رَحِمَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكَ أَنْ؛ أَشْرَفَ مَا فِي الْإِنْسَانِ قَلْبُهُ فَهُوَ؛

الْعَالِمُ بِاللَّهِ.

الْعَامِلُ لَهُ.

السَّاعِي إِلَيْهِ.

الْمُحِبُّ لَهُ.

فَهُوَ؛ مَحَلُّ الْإِيمَانِ وَالْعِرْفَانِ.

وَهُوَ؛ الْمُخَاطَبُ الْمُبْعُوثُ إِلَيْهِ الرُّسُلُ.

الْمَخْصُوصُ بِأَشْرَفِ الْعَطَايَا؛ وَهُوَ الْإِيمَانُ وَالْعَقْلُ.²

فَلَمَّا كَانَ الْحَالُ كَمَا ذُكِرَ، مَعَ شِدَّةِ الْحَاجَةِ إِلَى "عِلْمِ التَّزْكِيَةِ" فِي هَذِهِ الْأَزْمَنَةِ، إِذْ جُلُّ طَلَبَةِ الْعِلْمِ بِرَسْمِ الْعِلْمِ يَعْتَنُونَ، وَلِعُلُومِ الْأَلَةِ يُتَقَنُونَ وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ عَنْ مَقْصِدِ الْعِلْمِ الْأَوَّلِ مُعْرِضُونَ، فَرَأَيْتُ أَنَّهُ مِنَ اللَّازِمِ لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَكُونَ عِنْدَهُ مَتْنٌ أَوْ أَكْثَرُ فِي عِلْمِ التَّزْكِيَةِ، يَقْرَأُهُ وَيَحْفَظُهُ وَيَسْتَشْرِحُهُ، فَهُوَ أَوْلَى بِذَلِكَ مِنْ غَيْرِهِ، لِتَطْهِيرِ قَلْبِهِ وَجَوَارِحِهِ مِنَ السَّقُوطِ فِي الدُّونِ.

وَحَاوَلْتُ طَالِبًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى التَّوْفِيقَ وَالسَّدَادَ، اخْتِيَارَ مَا رَأَيْتُهُ الْأَمْثَلَ وَالْأَفْضَلَ لِطَالِبِ الْعِلْمِ الْمُبْتَدِئِ حَتَّى يَجْعَلَهُ أَسَاسًا سَلِيمًا يَنْتَفِعُ بِهِ فِي سَيْرِهِ؛ إِلَى اللَّهِ وَالِدَّارِ الْآخِرَةِ ابْتِدَاءً وَانْتِهَاءً.

وَأَقُولُ نَاصِحًا لِنَفْسِي أَوَّلًا وَلِإِخْوَانِي ثَانِيًا، مَا قَالَهُ الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ نَاصِرٍ

السَّعْدِيِّ؛

1 المحجة في سير الدلجة 291.

2 التبيان في أيمان القرآن صفحة 623 ط/عالم الفوائد.

فَيَا سَائِلًا عَنْ مَنْهَجِ الْحَقِّ يَبْتَغِي سُلُوكَ طَرِيقِ الْقَوْمِ حَقًّا وَيَسْعَدُ

تَأْمَلُ هَذَاكَ اللَّهُ مَا قَدْ نَظَّمْتُهُ تَأْمَلُ مَنْ قَدْ كَانَ لِلْحَقِّ يَفْصِدُ¹

فَاللَّهُ أَسْأَلُ أَنْ يَنْفَعَ بِمَا قَصَدْتُ إِنَّهُ سَمِيعٌ مُجِيبٌ.

وَعَمَلِي الْمُتَوَاضِعُ عَلَى الرِّسَالَةِ يَتِمَثَّلُ فِي:

1. ضَبْطِ نَصِّ الْمَنْظُومَةِ بِمُقَابَلَتِهَا عَلَى عِدَّةِ نُسخٍ مَطْبُوعَةٍ دُونَ إِثْبَاتِ الْفُرُوقِ الضَّئِيلَةِ الْوَاقِعَةِ بَيْنَ النُّسخِ حَتَّى لَا أَثْقَلَ الْحَوَاشِي بِمَا قَدْ تَكُونُ فَائِدَتُهُ قَلِيلَةً.

2. تَقْسِيمِ نَصِّ الْمَنْظُومَةِ إِلَى فُقَرَاتٍ مُتَبَايِنَةٍ.

3. تَشْكِيلِ النَّصِّ تَشْكِيلًا أَظْنُهُ تَأْمَمًا، لِتَقْرِيبِ هَذِهِ الْمَنْظُومَةِ التَّفْهِيمَةِ لِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ، فَعَدَمُ تَشْكِيلِ النَّصِّ يَحُولُ- فِي أَكْثَرِ الْأَحْيَانِ- بَيْنَ الْكُتُبِ وَبَيْنَ اسْتِفَادَةِ النَّاسِ مِنْهَا.

4. وَضْعُ مُقَدِّمَةٍ مُوَضَّحَةٍ لِمَنْهَجِ التَّحْقِيقِ.

5. وَضْعُ تَرْجَمَةٍ مُوجِزَةٍ لِصَاحِبِ الرِّسَالَةِ فَهُوَ أَشْهَرُ مِنْ أَنْ يُعَرَّفَ بِمِثْلِهِ.

6. وَضْعُ تَعْرِيفٍ بِالْمَنْظُومَةِ يُبَيِّنُ مَوْضُوعَهَا، وَيُقَرِّبُ مَرَامَهَا، بِالْطَّفِ عِبَارَةٍ وَأَقْرَبِ إِشَارَةٍ، مَعَ الْإِعْتِنَاءِ كَمَا هُوَ دَائِمًا الْحَالُ فِي هَذِهِ السَّلْسِلَةِ " تَقْرِيبُ الْمُشُونِ الْعِلْمِيَّةِ " بِبَيَانِ طَبَعَاتِهَا وَشُرُوحَاتِ وَأَعْمَالِ أَهْلِ الْعِلْمِ عَلَيْهَا... وَمَا يَتَّبِعُ ذَلِكَ وَيَلْحَقُهُ مِمَّا لَا غِنَى لِطَالِبِ الْعِلْمِ عَنْهُ فِي سِيرِهِ لِطَلَبِ الْعِلْمِ وَرَفَعِ الْجَهْلِ...

وَاللَّهُ مِنْ وَرَاءِ الْقَصْدِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

كُتِبَتْهُ: أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِسْمَاعِيلُ ابْنُ عُمَرَ
الجزائري عشية يوم الأحد 1 من رمضان سنة
(1435) هـ، بحي عين النعجة، الجزائر العاصمة.

1 منظومة منهج الحق للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي البيت (1 - 2).

التَّعْرِيفُ بِالمُؤَلِّفِ وَالْمُؤَلَّفِ

التَّعْرِيفُ بِالْمَوْلَفِ^١

(1) استفدتها ونقلتها بأكملها من مقدِّمة الشَّيْخ محمد بن عبد العزيز الخضير - حفظه الله تعالى - في تحقيقه لكتاب " منهج السالكين " للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السَّعْدِي - رحمه الله تعالى - صفحة 17 - 27 مع تصرف فيها بالزيادة والتقصان.

● اسمه ونسبه:

هو أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعيدي، من نواصر بني تميم.

● نشأته:

وُلِدَ في عُنَيْزَة (1307/1/12)¹، وتُوفِّيَت والدته وعُمُرُه أربع سِنين، ثم تُوُفِّي والدُه وعُمُرُه سَبْع سَنواتٍ، فَنشأ يَتيمَ الأبوين. وكَفَلَتْهُ زَوْجَةُ والدِه، وَأَحَبَّتُهُ كَثيراً، فَلَمَّا شَبَّ صارَ في بَيْتِ أَخِيهِ الأكبر: حَمَد، الَّذِي دَفَعَ به إلى حَلَقاتِ العِلْم، وكَفَّاهُ مَوُونَةَ العِيش. أمَّا والدُه فقد كان حَافِظاً للقرآن، مُحِبّاً للعلم وأَهْلِه، مَشْهُوراً بِالْبَذْلِ والإِحسانِ، وكان يَقْرَأُ على النَّاسِ الكُتُبَ النَّافِعَةَ أدبارَ الصَّلواتِ، وَيَنوبُ عن إمامِ المَسْجِدِ وخطيبِه. وأمَّا أمُّه فَهِيَ مِن آلِ عَثيمين، مِن الوَهْبة. نشأ الشَّيْخُ نشأةً صالِحَةً؛

فَحَفِظَ القرآنَ ولم يَتجاوزِ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ مِن عُمُرِه، ثم انصَرَفَ إلى طَلَبِ العِلْمِ وتَحْصِيلِهِ بِهِمَّةٍ عَالِيَةٍ على شُيوخِ بَلَدِه، وَغَيرِهِم مِمَّنْ وَفَدُوا عَلَيَّها، وَمِنَ أَبرَزِهِم:

1 - إبراهيم بن حمد بن جاسر (ت1338).

2 - إبراهيم بن صالح بن عيسى (ت1343).

3 - صالح بن عثمان القاضي (ت1351).

1 جميع التواريخ المذكورة إنما هي بالتاريخ الهجري القمري، وهو الأصل عند المسلمين، ولذا لم أضع رمز (هـ) بعدها.

4 - صعب بن عبد الله التويجري (ت1339).

5 - عبد الله بن عايض العويضي الحربي (ت1322).

6 - علي بن محمد السناني (ت1339).

7 - علي بن ناصر أبو وادي (ت1361).

8 - محمد الأمين محمود الشنقيطي (ت1351).

9 - محمد بن عبد العزيز بن مانع (ت1385).

10 - محمد بن عبد الكريم الشبل (ت1343).

وقد أُعْجِبَ به مَشَائِخُهُ؛ لِذَكَائِهِ وَبُلبِهِ وَاسْتِقَامَتِهِ، وَحِرْصِهِ عَلَى الطَّلَبِ مَعَ سُمُوِّ أَخْلَاقِهِ.
وكان يَحْفَظُ كَثِيرًا مِنَ الْمُثُونِ عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ، وَإِذَا اسْتَشْهَدَ بِهَا لَمْ يُغْنِثْهُ الْإِسْتِشْهَادُ،
يَهْدُهَا هَذَا؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَتَعَاهَدُهَا دَائِمًا.

وقد تَأَثَّرَ الشَّيْخُ كَثِيرًا بِمَدْرَسَةِ الشَّيْخَيْنِ: شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ، وَتَلْمِيزِهِ ابْنَ الْقَيِّمِ، فَقَرَأَ كُتُبَهُمَا، وَلَخَّصَهَا، وَشَرَحَهَا، وَحَثَّ الطُّلَّابَ عَلَى قِرَاءَتِهَا، وَبَدَأَ أَثَرَ تَتَلُمُّذِهِ عَلَى مُؤَلَّفَاتِهَا وَاضِحًا فِي كَلَامِهِ وَاخْتِيَارَاتِهِ الْفَقْهِيَّةِ، وَطَرِيقَةِ اسْتِنْبَاطِهِ، وَتَحَرُّرِهِ مِنْ رِبْقَةِ التَّقْلِيدِ، وَحِرْصِهِ عَلَى اتِّبَاعِ الدَّلِيلِ.

● أَعْمَالُهُ وَتَعْلِيمُهُ:

لَمَّا ظَهَرَ بُوْعُ الشَّيْخِ وَهُوَ فِي رِيعَانِ الشَّبَابِ صَارَ أَقْرَانُهُ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ، وَيَسْتَفِيدُونَ مِنْهُ، وَلَمَّا بَلَغَ الثَّلَاثَةَ وَالْعِشْرِينَ مِنْ عُمُرِهِ جَلَسَ لِلتَّدْرِيسِ مَعَ عَدَمِ انْقِطَاعِهِ عَنِ الطَّلَبِ، وَمِنْ عَامِ (1350) صَارَ مَرَجِعَ النَّاسِ فِي بَلَدِهِ فِي التَّدْرِيسِ وَالْفَتْوَا، وَأَصْبَحَ عَلَيْهِ الْمَعْوَلُ فِي أَخْذِ الْعُلُومِ.

مِن تَلَامِيذِهِ:

- 1 - إبراهيم بن عبد العزيز الغرير (ت1401).
- 2 - إبراهيم بن محمد العامود (ت1394).
- 3 - حمد بن إبراهيم القاضي (ت1395).
- 4 - حمد بن محمد البسام.
- 5 - حمد بن محمد المرزوقي.
- 6 - سليمان بن إبراهيم البسام (ت1377).
- 7 - سليمان بن محمد الشبل (ت1386).
- 8 - صالح بن عبد الله الزغبني إمام المسجد النبوي (ت1372).
- 9 - عبد العزيز بن علي بن مساعد (ت1411).
- 10 - عبد العزيز بن محمد السلطان، صاحب المؤلفات المشهورة (ت1422).
- 11 - عبد الله بن عبد الرحمن البسام، عضو هيئة كبار العلماء، ومجمع الفقه الإسلامي.
- 12 - عبد الله بن عبد العزيز الخضير (ت1393).
- 13 - عبد الله بن عبد العزيز العقيل، عضو مجلس القضاء الأعلى سابقاً (ت1432).
- 14 - علي بن حمد الصالحي (ت1415).
- 15 - علي بن زامل آل سليم (ت1418).
- 16 - محمد بن سليمان البسام.
- 17 - محمد بن صالح الخزيم (ت1394).
- 18 - محمد بن صالح العثيمين، أشهر تلاميذ الشيخ، وعضو هيئة كبار العلماء (ت1421).

19 - محمد بن عبد العزيز المطوع (ت 1387).

20 - محمد بن عثمان القاضي.

21 - محمد بن منصور الزامل (ت 1413).

وغيرهم كثير، رَحِمَ اللهُ المَيِّت، وَمَتَّعْ وَنَفَعَ بِالْحَيِّ.

ومع هذه المهمة الأساس كان يقوم بأعمال جمّة:

كإمامة الجامع.

والفتيا.

وكتابة الوثائق، وتحرير الأوقاف والوصايا، وعقود الأنكحة.

وكان مُستشاراً أميناً لكل من استشاره واستنصحه، ولم يكن يأخذ على شيء مما كان يعملهُ شيئاً من حطام الدنيا.

كما كان أحد المساهمين في تأسيس المكتبة الوطنية بعُيزة عام (1359)، وتأمين المراجع العلمية؛ لتكون في متناول الطلبة.

كما قام بالإشراف على المعهد العلمي بعُيزة لما افتُتح عام (1373)، وقد عُيِّن له راتب شهري مقابل إشرافه، فتركه الشيخ احتساباً.

كما عُرض عليه القضاء عام (1360)، فامتنع تورعاً وحرصاً على عدم الالتزام بعمل رسمي يُشغله عن العلم والتعليم، وكُرِّر عليه العرض مراراً فلم يقبل.

أمّا عن تنظيمه لوقته، فقد كان يجلس أربع جلسات في اليوم، حيث كان يُصلي الفجر بالناس ثم يجلس لأداء الدرس حتى تطلع الشمس، ويذهب بعد ذلك إلى بيته حتى ارتفاع الضحى، ثم يعود إلى المسجد ليدرس الطلبة فنوناً متنوعة على ترتيب اختاره الشيخ، ويستمر حتى صلاة الظهر، فيصلي بالناس، ثم يعود إلى بيته إلى صلاة العصر.

وبعد صلاة العصر يُلقِي دَرْساً في بعض ما يُهِمُّ النَّاسَ مَعْرِفَتَهُ مِنْ دِينِهِمْ فِي بَضْعِ دَقَائِقٍ،
وبعد صلاة المغرب يُلقِي على طُلَّابِهِ درساً حَتَّى يُصَلِّيَ العِشاءَ، وذلك كُلَّ يَوْمٍ.

وكان مِنْ هَدِيهِ مع طُلَّابِهِ:

أَنَّهُ يَسْتَشِيرُهُمْ فِي الكِتَابِ الَّذِي يُرِيدُونَ قِرَاءَتَهُ.

وَيَعْقِدُ الْمُنَاطَرَاتِ بَيْنَهُمْ لِأَحْيَاءِ الثَّنَافِسِ فِي الطَّلَبِ، وَتَرْسِيخِ الْمَسَائِلِ فِي الذَّهْنِ.

وَيَطْرَحُ عَلَيْهِمُ الْمَسَائِلَ لِيَسْتَخْرِجَ مِنْهُمْ الْجَوَابَ.

وَأحياناً يَتَعَمَّدُ تَغْلِيظَ نَفْسِهِ لِيَعْرِفَ الْمُنتَبِهَ وَالْقَاهِمَ مِنْ بَيْنِ الْحُضُورِ.

وقد يُصَوِّرُ الْمَسْأَلَةَ الْخِلَافِيَّةَ بَيْنَ الطَّالِبِينَ، كُلُّ وَاحِدٍ يَتَبَنَّى قَوْلًا وَيُدَافِعُ عَنْهُ، ثُمَّ يُرْجِحُ

الشَّيْخُ الْقَوْلَ الصَّحِيحَ بِالذَّلِيلِ أَوِ التَّعْلِيلِ.

وكان كَثِيراً ما يَطْلُبُ مِنَ التَّلَامِيذِ إِعَادَةَ مَا فَهَمُوهُ مِنَ الدَّرْسِ، وَلَمْ يَكُنْ يُغْفَلُ فِي بَدَايَةِ

الدَّرْسِ مُنَاقَشَةُ الطَّلَبَةِ فِيمَا أَخَذُوهُ فِي الدَّرْسِ السَّابِقِ، مِمَّا يَدْفَعُهُمْ بِهِ إِلَى الْإِسْتِذْكَارِ وَالْمُرَاجَعَةِ.

وكان - رحمه الله - يُخَصِّصُ الْمُكَافَاتِ لَهُمْ تَشْجِيعاً عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ، وَإِعَانَةً لَهُمْ عَلَى

الْعَيْشِ.

• صِفَاتُهُ الْخُلُقِيَّةُ وَالْخُلُقِيَّةُ:

كان الشَّيْخُ قَصِيرَ الْقَامَةِ، مُمْتَلِئَ الْجِسْمِ، أَبْيَضَ اللَّوْنِ، مُشْرَباً بِالْحُمْرَةِ، مُدَوَّرَ الْوَجْهِ،

طَلْقَهُ، كَثَّ اللَّحْيَةِ - بَيَضاءَ - قد ابْيَضَّتْ مَعَ رَأْسِهِ وَهُوَ صَغِيرٌ، وَوَجْهُهُ حَسَنٌ، عَلَيْهِ نُورٌ فِي

غَايَةِ الْحُسْنِ، وَصَفَاءِ اللَّوْنِ.

أَمَّا أَخْلَاقُهُ؛ فَكَانَ آيَةً فِي مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، أَوْفَى فِيهَا عَلَى الْغَايَةِ،
وَلَهُ الْيَدُ الطُّوْلَى - بِفَضْلِ اللَّهِ - فِي كُلِّ سَجِيَّةٍ؛ لَا يَكَادُ يُشْقُّ لَهُ غُبَارٌ فِي هَذَا الْمِيدَانِ؛

مَعَ مَا أُوتِيَهُ مِنَ التَّوَاضُّعِ الْجَمِّ لِلصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ، وَالْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ.

وَالزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا، وَالْإِعْرَاضِ عَنْهَا مَعَ إِقْبَالِهَا إِلَيْهِ، عُرِضَتْ عَلَيْهِ الْمَنَاصِبُ فَأَبَاهَا، وَأَقْبَلَتْ
عَلَيْهِ الدُّنْيَا فَنَفَاهَا.

وَكَانَ - رَحِمَهُ اللَّهُ -؛

كَثِيرَ الْحَجِّ، عَفِيفاً، عَزِيزَ النَّفْسِ مَعَ قِلَّةِ ذَاتِ يَدِهِ، يُسَلِّمُ عَلَى الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ، يُجِيبُ
الدَّعْوَةَ، وَيَعُودُ الْمَرْضَى، وَيُشَيِّعُ الْجَنَائِزَ، تَسْتَوْفِقُهُ الْعَجُوزُ وَالطِّفْلُ الصَّغِيرُ فَيَقْضِي - حَوَائِجَهُمْ،
وَيُجِيبُ مَسَائِلَهُمْ، وَكَانَ يُكَلِّمُ كُلَّ إِنْسَانٍ بِمَا يُصْلِحُهُ وَيُصْلِحُ لَهُ، أَوْتَى قُدْرَةً عَلَى حَلِّ الْمَعْضَلَاتِ
الَّتِي تَحِلُّ بِالنَّاسِ بَيْسَرٍ وَسُهُولَةٍ، وَعَلَى فَضِّ الْمُنَازَعَاتِ بِذِكَاةٍ وَحِنَكَةٍ.

قَالَ تَلْمِيزُهُ الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ الْبَسَّامُ: لَهُ أَخْلَاقٌ أَرَقُّ مِنَ النَّسِيمِ، وَأَعَذَبُ مِنَ
السَّلْسِيلِ، لَا يُعَاتِبُ عَلَى الْهَفْوَةِ، وَلَا يُؤَاخِذُ بِالْجَفْوَةِ، يَتَوَدَّدُ وَيَتَحَبَّبُ إِلَى الْبَعِيدِ وَالْقَرِيبِ،
يُقَابِلُ بِالْبَشَاشَةِ، وَيُجِيبُ بِالطَّلَاقَةِ، وَيُعَاشِرُ بِالْحُسْنَى، وَيُجَالِسُ بِالْمُنَادِمَةِ، وَيُجَاذِبُ أَطْرَافَ
الْحَدِيثِ بِالْأَنْسِ وَالْوَدِّ، وَيُعْطِفُ عَلَى الْفَقِيرِ وَالصَّغِيرِ، وَيَبْذُلُ طَاقَتَهُ وَوُسْعَهُ، وَيُسَاعِدُ بِمَالِهِ
وَجَاهِهِ وَعَمَلِهِ وَرَأْيِهِ وَمَشُورَتِهِ وَنُصْحِهِ، بِلِسَانٍ صَادِقٍ، وَقَلْبٍ خَالِصٍ، وَسِرٍّ مَكْتُومٍ.

كَمَا كَانَ جَرِيئاً فِي الْحَقِّ، نَاصِحاً لِلخَلْقِ، لَا تَأْخُذُهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ، نَحْسَبُهُ كَذَلِكَ وَاللَّهُ
حَسِيبُهُ، وَلَا نُزَكِّي عَلَى اللَّهِ أَحَداً.

وقد مدَّحه واصفوه؛ بقوة الحافظة، وسرعة الاستحضار، ودقة الاستنباط، وسهولة المآخذ، وصفاء القرينة، وحضور البديهة، وحسن الصوت، مما جعل لأحاديثه ومخاوراته وقعا في قلوب الخلق، حملهم على محبته والثقة به، ومن قرأ كتبه عرف أن وراءها فخلا من فحول العلم.

وكان من شدة حرصه على نفع الخلق، ونشر العلم، ودعوة الناس يكثر الاجتماع بالناس؛ لا ينقطع عن زيارتهم في بيوتهم، ومشاركتهم في مناسباتهم، مع دعاية لا تسقط من حرمة، ولا تخل بوقاره، مع ما كان عليه من شدة الحب والرحمة للفقراء، خصوصا من طلاب العلم؛ حرصا منه على تفرغهم له، وقطع ما يشغلهم عنه، من الكسب والكد.

وكان يستمع إلى نصيح الناس واقتراحاتهم، ويأخذها مأخذ الجد، ويتقبلها بصدور رحب، جاءه أحد الصالحين فأشار عليه بأن يضع مكبر الصوت في المسجد؛ لسمع الناس النداء والخطبة بلا عناء، وبين له فوائد هذا الصنيع، فشرح الله صدر الشيخ، وشكر الناصح، ووعد أنه يتم ما اقترحه خلال الأسبوع، فكان الشيخ أول من أدخل هذا الجهاز إلى مساجد بلده.

يقرُّ له بالفضل من كان مُنصفاً إذا قال قولاً كان بالقول أمثلاً

وقد حدثت أن أحد تلاميذه رآه بعد موته، فسأله عما صنع الله به؛ فبشر بخير، وقال له: بَمِ نِلْتَ ذلك؟ فقال: بحسن الخلق.

فهنيئاً له، فليس في ميزان المؤمن شيء أثقل يوم القيامة من حسن الخلق، كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم¹.

1 رواه أحمد في المسند (27496)، والترمذي (2003) وقال: حديث غريب من هذا الوجه، والبخاري في «الأدب المفرد» (270)، عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: [ما من شيء أثقل في الميزان من حسن الخلق] وصححه الألباني كما الصحيحة برقم (876) وصحيح الأدب المفرد.

• من مؤلفاته :

عَنِ الشَّيْخِ بِالتَّأْلِيفِ، وَتَقْرِيبِ الْعُلُومِ لِلْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ، وَقَدْ أُلِيَتْ لَهُ الْكِتَابَةُ، وَذُلِّلَ لَهُ التَّصْنِيفُ، فَلَمْ يَكُنْ مُتَكَلِّفًا فِي هَدْيِهِ كُلِّهِ، وَلَا فِي تَأْلِيفِهِ، وَمَنْ طَالَعَ كُتُبَهُ تَعَجَّبَ مِنْ سُهُولَةِ عِبَارَتِهِ، وَقُرْبِ مَاخِذِهِ، وَفَخَامَةِ الْمَعَانِي الَّتِي يَحُومُ حَوْلَهَا، وَيُرِيدُ تَقْرِيرَهَا، وَلَمْ يُشْغَلْ نَفْسُهُ فِي شَيْءٍ مِنْ فُضُولِ الْعِلْمِ وَزَعْلِهِ، مِمَّا لَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي فَهْمِ الْإِسْلَامِ، وَالسَّيْرِ إِلَى الْمَلِكِ الْعَلَامِ، وَقَدْ تَيَسَّرَتْ مَوْلَفَاتُهُ عَلَى الْأَرْبَعِينَ كِتَابًا، مَا بَيْنَ كَبِيرٍ فِي مَجَلِّدَاتٍ، وَصَغِيرٍ فِي وَرَقَاتٍ.

وَمِنْ أَهَمِّهَا:

- 1 - تَيْسِيرُ الْكَرِيمِ الرَّحْمَنِ فِي تَفْسِيرِ كَلَامِ الْمَثَانِ، أَشْهُرُ كُتُبِ الشَّيْخِ، وَقَدْ كَتَبَهُ قَبْلَ بُلُوغِهِ الْأَرْبَعِينَ، وَيَقَعُ فِي (8) مَجَلِّدَاتٍ، وَطُبِعَ مُؤَخَّرًا فِي مَجَلَّدٍ وَاحِدٍ، بِتَحْقِيقِ الدُّكْتُورِ: عَبْدِ الرَّحْمَنِ اللَّوَيْحِقِ.
 - 2 - الْقَوَاعِدُ الْحَسَانُ لِتَفْسِيرِ الْقُرْآنِ¹.
 - 3 - تَيْسِيرُ اللَّطِيفِ الْمَثَانِ فِي خِلَاصَةِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ.
 - 4 - بَهْجَةُ قُلُوبِ الْأَبْرَارِ وَقُرَّةُ عُيُونِ الْأَخْيَارِ فِي شَرْحِ جَوَامِعِ الْأَخْبَارِ، وَهُوَ فِي الْحَدِيثِ.
 - 5 - الْقَوْلُ السَّدِيدُ فِي مَقَاصِدِ التَّوْحِيدِ.
 - 6 - سَوَالٌ وَجَوَابٌ فِي أَهَمِّ الْمَهْمَاتِ.
 - 7 - التَّوَضُّيْحُ وَالْبَيَانُ لِشَجَرَةِ الْإِيمَانِ.
 - 8 - الدَّرَّةُ الْبَيَّةُ شَرْحُ الْقَصِيدَةِ الثَّائِيَّةِ فِي حَلِّ الْمَشْكِلةِ الْقَدَرِيَّةِ.
 - 9 - الْحَقُّ الْوَاضِحُ الْمُبِينُ فِي شَرْحِ تَوْحِيدِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ مِنَ الْكَافِيَةِ الشَّافِيَّةِ.
- وهذه الخمسة كلها في العقيدة.

1 وهو ضمن مشروعي في سلسلة تقريب المتون العلمية؛ متون "أصول التفسير وقواعده".

- 10 - منهج السالكين وتوضيح الفقه في الدين.
- 11 - المختارات الجليلة في المسائل الفقهية.
- 12 - الإرشاد إلى معرفة الأحكام.
- 13 - المناظرات الفقهية.
- 14 - نور البصائر والألباب في أحكام العبادات والمعاملات والحقوق والآداب.
وهذه كلها في الفقه.
- 15 - القواعد والأصول الجامعة، والفروق والتفاسيم البديعة النافعة¹.
- 16 - رسالة لطيفة جامعة في أصول الفقه المهمة².
- 17 - تحفة أهل الطلب في تجريد قواعد ابن رجب.
وهذه في أصول الفقه وقواعده.
- 18 - الرياض الناضرة والحدائق الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة.
- 19 - الخطب المنبرية.
- 20 - الوسائل المفيدة للحياة السعيدة.
وهذه كلها في محاسن الإسلام وقضايا المسلمين.

1 وهي ضمن مشروع في سلسلة تقريب المتون العلمية؛ متون "القواعد الفقهية".

2 وهي ضمن مشروع في سلسلة تقريب المتون العلمية؛ متون "أصول الفقه".

21 - الفَتَاوى السَّعُودِيَّة (وقد جُمِعت بعد وفاته).

22 - طريقُ الوصولِ إلى العلمِ المأمولِ بِمعرفةِ القواعدِ والضوابطِ والأصولِ، ضَمَّنَه (1015) فائدة وقاعدة وضابطاً مِنْ كلامِ شيخِ الإسلامِ وتلميذِهِ ابنِ القَيِّمِ.

23 - التَّعليقُ وكشفُ البَقَابِ على نظمِ قواعدِ الإعرابِ.

24 . منظومةٌ في السَّيرِ إلى اللهِ والدَّارِ الآخرةِ، وله تعليقٌ لطيفٌ عليها، وهي المقصودةُ بالاعتناء في هذا الكتابِ.

وكانت للشيخِ عنايةٌ بالتَّظْمِ والشَّعْرِ، وبعضُ ما سبق مِنْ كتبه منظوماتٌ، وقد تَيَفَّت منظومته في الفقه على (400) بيت، وقد نظمها في مقتبلِ عُمرِهِ، وله منظومة في القواعدِ الفقهية في (47) بيتاً، نظمها وهو لم يتجاوز الرابعة والعشرين مِنْ العُمُرِ، وله أشعارٌ جميلة، ومراثٍ مؤثِّرة، وأبياتٌ طريفة.

وقد طُبِعَت كُتُبُ الشَّيخِ مجموعةً في (16) مجلداً، تولى جمعها وطبعها: مركزُ ابنِ صالح في الجمعية الصَّالِحِيَّة بعُنيزة.

وطُبِعَت مُؤَخَّرًا عن مؤسسة العُنُود الخيريَّة طبعة فاخرة في (26) مجلداً مع إضافة مؤلَّفاتٍ أخرى للشيخِ باعتناء ثلَّةٍ مِنْ أَهْلِ العلمِ الأفاضلِ..، ويا لهف قلبي لتحصيلها فإنَّ لي بها حاجة عسى اللهُ أن يبلِّغني إيَّاهَا.

● وفاته:

أُصِيبَ الشَّيخُ في آخرِ حَيَّاتِهِ بِمَرَضٍ ضَغْطِ الدَّمِ، فكان لا بدَّ لِإِِعلاجِهِ مِنَ السَّفَرِ خَارِجَ البِلادِ، وقد أُرْسِلَت الدَّوْلَةُ السُّعُودِيَّة طائِرةً خاصَّةً نقلته إلى بيروت، فَعُوجِلَ بِهَا، وبقي هناك قُرابة الشَّهْرَيْنِ حَتَّى شَفَاهُ اللهُ، وذلك عام (1372)، ثم عاد إلى عُنيزة، وأعاد جميعَ أَعْمالِهِ الَّتِي كان يُزاولها، رغمَ نَهْيِ الأَطْبَاءِ لَهُ عَنِ الإِجْهادِ، ممَّا كان له أثرٌ على مُعاوَدَةِ الضَّغْطِ.

وفي ليلة الأربعاء 1376/6/22 بعد أن صَلَّى العشاء في الجامع الكبير في عُنيزة، وبعد أن أَمَلَى الدَّرس المعتاد على جماعة المسجد أَحَسَّ بِثَقَلٍ وَضَعِفِ حَرَكَةٍ، فَأشار إلى أَحَدٍ تلاميذه بأن يُمسك بيده وَيَذْهَبَ به إلى بيته، ففعلَ لَكِنَّهُ أُغْمِيَ عليه فَوَرَ وَصُولُهُ البيت، ثم أَفاق وَطمأن الحاضرين على صِحَّتِهِ، ثُمَّ عاد إليه الإغماء فلم يتكلم بعدها حتَّى مات، وفي الصَّباح دَعَوْا له الطَّبيب، فَقَرَّرَ أَنَّ نَزيفاً في المخَّ قد حصلَ له، فَأَبْرَقُوا لوليِّ العهد، فأصدرَ أمراً بِإِسْعافِهِ بالطَّائرة، لكنَّ حالَ دون نزولها السَّحابُ الكثيف والمطرُ الغزير، وعادت مرَّةً أخرى صبيحةَ الخميس لعلَّها تتمكَّن من الهبوط، لكنَّها تلَقَّتْ نبأ وفاته وهي في الجوّ فعادت أدراجها.

وكانت وفاته قُبيل فجر الخميس 1376/6/23، عن (69) عاماً قَضَاهَا في العلم والتَّعليم والدَّعوة والتَّأليف والتَّوجيه والإرشاد.

وقد صُلِّيَ عليه بعد ظهر ذلك اليوم صلاةً لم تشهد عُنيزةُ لها مثيلاً من قَبْل، رحمه الله رحمةً واسعةً، وأُسْكِنَه الفردوسُ الأعلى من جنَّاته.

وقد رُثِيَ مرَّاتٍ كثيرة، وَتَرَكْتَ وفاته فراغاً هائلاً في نفوسِ أهلِ بلده وفي نفوسِ المسلمين، وعَرَفَ النَّاسُ بموته كم هي الأعمالُ الَّتِي كان يَقُومُ بها، والأعباءُ الَّتِي كان يَتَحَمَّلُها، وصدقاتِ السِّرِّ الَّتِي كان يَتَعَاهَدُ بها فُقَرَاءَ بلده، فَلِلَّهِ دَرُّهُ مَا أعْظَمَ أثره على النَّاسِ، وما أَحْسَنَ خَبْرَهُ فيهم.

ما مات من نشرِ الفُضيلةِ والتُّقى وأقامَ صَرحاً أُسُّهُ لا يُكْسَرُ¹

¹ هذه الترجمة ملَّخصة من ترجمة الدكتور عبد الله الطيار الَّتِي دَبَّجَ بها كتابه: « فقه الشيخ السَّعدي »، ومن مقدِّمة الشيخ محمد بن سليمان البسام لكتاب «التَّعليق وكشف النقاب»، مع زيادات أخرى، وللإستزادة ينظر في ترجمته: «علماء نجد» (422/2)، و«روضة النَّاظرين» (220/1)، وكتاب: «سيرة العلَّامة السَّعدي»، ومقالاً للعدوي في مجلة الجامعة الإسلامية، السنة الحادية عشرة، العدد الرابع (ص205)، و«مشاهير علماء نجد» (ص396)، ودراسات مفصلة عن السَّعدي، مقالات للدكتور عبد الله بن محمد الرِّميان في جريدة الجزيرة، أعداد شهر شوال 1421، ومقدمات مؤلفات الشيخ، ففيها تراجم مختلفة من طُلَّابِهِ ومُحِبِّهِ.

التَّعْرِيفُ بِالمُؤَلِّفِ

- "منظومة":

النظم:

- في اللغة: يُطلق على جمع اللؤلؤ في السلك، وكذلك نظم الخرز، ونظم الشعر.

كما يُطلق على التأليف وضم شيء إلى شيء آخر.

- اصطلاحاً: تأليف الكلمات والجمل مُرتبة المعاني مُتناسبة الدلالات على حسب ما يفتضيه العقل.¹

والمقصود بالنظم هنا؛ نظم الشعر.

والقصيدة التي نظمها الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي في؛

- علم التزكية والسلوك.

- ومن نوع النظم التعليمي.

وقد درج العلماء على تسمية هذا النوع من الشعر بـ: النظم.

وغالباً ما يكون من بحر " الرجز " إلا ما قلّ كـ؛ منظومة الإمام الشاطبي رحمه الله في علم القراءات.

ووزن بحر الرجز؛

مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ

وله أعاريض وأضرب ليس هذا مقام تفصيلها إنّما تفصيلها في علم العروض والقوافي، وهو: صناعة يُعرف بها صحيح أوزان الشعر العربي وفاسدُها وما يعتريها من زحافاتٍ وعللٍ.

- "السَّيْرُ": هُوَ الذَّهَابُ نَهَارًا وَلَيْلًا.

كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ [سُورَةُ سَبَأٍ،
الآيَةُ: 18]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ
يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [سُورَةُ الْحَجِّ، الْآيَةُ:
46].

وَأَمَّا السَّرَى؛ فَلَا يَكُونُ إِلَّا لَيْلًا كَمَا فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ
وَاتَّبِعْ أَذْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ [سُورَةُ الْحَجَرِ، الْآيَةُ: 65]، وَهَذَا
السَّيْرُ هُوَ الْحِسْبِيُّ.

وَهُنَاكَ سَيْرٌ مَعْنَوِي؛ تُقَابِلُهُ بَعْضُ الْأَلْفَافِ الشَّرْعِيَّةِ، كُلُّهَا جَاءَتْ مَقِيدَةً فِي الشَّرْعِ بِأَنَّهَا إِلَى اللَّهِ
وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِثْلُ:

- الْفِرَارُ إِلَى اللَّهِ؛

كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [سُورَةُ الذَّارِيَاتِ،
الآيَةُ: 50].

- الذَّهَابُ إِلَى الرَّبِّ سُبْحَانَهُ؛

كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَمِيعِينَ﴾ [سُورَةُ الصَّافَّاتِ، الْآيَةُ:
99].

- الْهَجْرَةُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَهَجْرُ الْخَطَايَا وَالذُّنُوبِ؛

كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَافِقًا كَثِيرًا وَسَعَةً
وَمَنْ يُخْرِجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ
غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [سُورَةُ النَّسَاءِ، الْآيَةُ: 100].

وفي الحديث عن ابن السَّعْدِي رضي الله عنه :

أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

لَا تَنْقَطِعُ الْهَجْرَةُ مَا دَامَ الْعَدُوُّ يُقَاتِلُ.

فَقَالَ مُعَاوِيَةُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِي؛

إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

إِنَّ الْهَجْرَةَ خَصْلَتَانِ:

- إِحْدَاهُمَا؛ أَنْ تَهْجُرَ السَّيِّئَاتِ.

- وَالْأُخْرَى؛ أَنْ يُهَاجَرَ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَنْقَطِعُ الْهَجْرَةُ مَا تَقَبَّلْتَ التَّوْبَةَ وَلَا تَزَالُ التَّوْبَةُ مَقْبُولَةً حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنَ الْمَغْرِبِ فَإِذَا طَلَعَتْ طُبِعَ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ بِمَا فِيهِ وَكُفِيَ النَّاسَ الْعَمَلُ.¹

- "إِلَى اللَّهِ": جَارٌ وَمَجْرُورٌ، وَفِيهِ أَنَّ غَايَةَ السَّيْرِ وَمُنْتَهَاهُ هُوَ الْوُصُولُ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فَبَعْدَ السَّيْرِ إِلَى اللَّهِ يَكُونُ بِمَنْتِهِ وَفَضْلِهِ وَمَحْضِ تَوْفِيقِهِ الْوُصُولُ إِلَيْهِ؛ فَمَا هِيَ حَقِيقَةُ هَذَا الْوُصُولِ رِكَاعُ اللَّهِ فَإِنَّ النَّفْسَ وَالْقَلْبَ إِلَيْهِ بِالْأَشْوَاقِ ؟!!؟.

أَقُولُ لَكَ يَا طَالِبَ السَّعْيِ وَالْوُصُولِ، لَا تَنْسَانِي بِالْدُّعَاءِ حَالِ مُطَالَعَةِ الْجَوَابِ عَنِ السُّؤْلِ، وَعِنْدَ حُصُولِ أَثَرِهِ عَلَى الْقَلْبِ الْمَعْلُولِ، وَعِنْدَ سَعْيِكَ لِلْسَّيْرِ إِلَيْهِ لِحُصُولِ الْمَأْمُولِ، فَإِنَّهُ خَيْرٌ مَدْعُوٍّ وَأَشْرَفُ مَسْئُولٍ.

1 رواه أحمد في مسنده برقم (1671)، وقال محققو المسند؛ إسناده حسن، وقال الشيخ أحمد شاكر؛ إسناده صحيح.

إِعْلَمْ يَا عَبْدَ اللَّهِ - سَدَّدَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكَ وَوَقَّفَنَا لِمَرَاضِيهِ - أَنْ؛ الْوُصُولَ إِلَى اللَّهِ نَوْعَانِ:

1 - أَحَدُهُمَا فِي الدُّنْيَا.

2 - وَالثَّانِي فِي الْآخِرَةِ.

1 - فَأَمَّا الْوُصُولَ الدُّنْيَوِيَّ فَاَلْمُرَادُ بِهِ؛ أَنَّ الْقُلُوبَ تَصِلُ إِلَى مَعْرِفَتِهِ، فَإِذَا عَرَفَتْهُ أَحَبَّتْهُ وَأَنْسَتْ بِهِ فَوَجَدَتْهُ مِنْهَا قَرِيبًا وَلِدَعَائِهَا مُجِيبًا.

2 - وَأَمَّا الْوُصُولَ الْآخِرَوِيَّ؛ فَالدُّخُولُ إِلَى الْجَنَّةِ الَّتِي هِيَ دَارُ كَرَامَةِ اللَّهِ لِأَوْلِيَائِهِ.

وَلَكِنَّهُمْ فِي دَرَجَاتِهِمْ مُتَفَاوِثُونَ فِي الْقُرْبِ بِحَسَبِ تَفَاوُتِ قُلُوبِهِمْ فِي الدُّنْيَا فِي الْقُرْبِ وَالْمُشَاهَدَةِ.¹

فَالْمُؤْمِنُ فِي الدُّنْيَا يَسِيرُ إِلَى رَبِّهِ حَتَّى يَبْلُغَ إِلَيْهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [سُورَةُ الْحَجَرِ، الْآيَةُ: 99]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمَلَأْكِه﴾ [سُورَةُ الْاِنْشِقَاقِ، الْآيَةُ: 6].²

وَالْعَبْدُ مِنْ حِينَ اسْتَقَرَّتْ قَدَمُهُ فِي هَذِهِ الدَّارِ؛ فَهُوَ مُسَافِرٌ فِيهَا إِلَى رَبِّهِ وَمُدَّةُ سَفَرِهِ هِيَ عَمَلُهُ الَّذِي كَتَبَ لَهُ؛ فَالْعَمَلُ هُوَ مَدَّةُ سَفَرِ الْإِنْسَانِ فِي هَذِهِ الدَّارِ إِلَى رَبِّهِ، ثُمَّ قَدْ جَعَلَتْ الْأَيَّامَ وَاللَّيَالِيَ مَرَاحِلَ لِسَفَرِهِ، فَكُلُّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ مَرَحَلَةٌ مِنَ الْمَرَاحِلِ، فَلَا يَزَالُ يَطْوِيهَا مَرَحَلَةً بَعْدَ مَرَحَلَةٍ حَتَّى يَنْتَهِيَ السَّفَرُ؛ فَالْكَيْسُ الْفُطْنُ هُوَ الَّذِي يَجْعَلُ كُلَّ مَرَحَلَةٍ نَصَبَ عَيْنِيهِ، فَيَهْتَمُّ بِقَطْعِهَا سَالِمًا غَانِمًا، فَإِذَا قَطَعَهَا جَعَلَ الْآخَرَى نَصَبَ عَيْنِيهِ، وَلَا يَطُولُ عَلَيْهِ الْأَمَدُ؛ فَيَقْسُو قَلْبَهُ، وَيَمْتَدُّ أَمَلُهُ، وَيَحْضُرُهُ التَّسْوِيفُ وَالْوَعْدُ وَالتَّأْخِيرُ وَالْمَطْلُ.

بَلْ يَعِدُّ عَمْرَهُ تِلْكَ الْمَرَحَلَةَ الْوَاحِدَةَ؛ فَيَجْتَهِدُ فِي قَطْعِهَا بِخَيْرِ مَا يَحْضُرُهُ، فَإِنَّهُ إِذَا تَيَقَّنَ قَصْرَهَا، وَسُرْعَةَ انْقِضَائِهَا؛ هَانَ عَلَيْهِ الْعَمَلُ، فَطَوَعَتْ لَهُ نَفْسُهُ الْإِنْقِيَادَ إِلَى التَّرُودِ، فَإِذَا اسْتَقْبَلَ الْمَرَحَلَةَ الْآخَرَى مِنْ عَمْرِهِ اسْتَقْبَلَهَا كَذَلِكَ، فَلَا يَزَالُ هَذَا دَأْبُهُ حَتَّى يَطْوِي مَرَاحِلَ عَمْرِهِ كُلِّهَا؛ فَيَحْمَدُ سَعِيَهُ، وَيَبْتَهِجُ بِمَا أَعَدَّ لِيَوْمِ فَاقَتِهِ وَحَاجَتِهِ، فَإِذَا طَلَعَ صَبْحُ الْآخِرَةِ، وَانْقَشَعَ ظِلَامُ الدُّنْيَا؛ فَخِينُذُ يَحْمَدُ سِرَاهُ، وَيَنْجَلِي عَنْهُ كِرَاهُ، فَمَا أَحْسَنَ مَا يَسْتَقْبَلُ يَوْمَهُ وَقَدْ لَاحَ صَبَاحُهُ، وَاسْتَبَانَ فَلَاحُهُ.

ثُمَّ النَّاسُ فِي قَطْعِ هَذِهِ الْمَرَاحِلِ قِسْمَانِ:

1 " الْحِجَّةُ فِي سِيرِ الدُّلَّةِ " 429.

2 " الْحِجَّةُ فِي سِيرِ الدُّلَّةِ " 423.

- فقسم قطعوها - مسافرين فيها - إلى دار الشقاء، فكلما قطعوا منها مرحلة قربوا من تلك الدار وبعدوا عن ربهم وعن دار كرامته، فقطعوا تلك المراحل بمساخط الرب، ومعاداته، ومعاداة رسله وأوليائه ودينه، والسعي في إطفاء نوره وإبطال دعوته وإقامة دعوة غيرها. فهؤلاء جعلت أيامهم مراحل يسافرون فيها إلى الدار التي خلقوا لها، واستعملوا بعملها، فهم مصحوبون فيها بالشياطين الموكلة بهم، حتى يسوقونهم إلى منازلهم سوقًا، كما قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزُهُمْ أَزًّا} [مريم: 83]، أي: تُزجهم إلى المعاصي والكفر إزعاجًا، وتسوقهم سوقًا.

- القسم الثاني: قطعوا تلك المراحل سائرين فيها إلى الله وإلى دار السلام، وهو ثلاثة أقسام:

- ظالم لنفسه.

- ومقتصد.

- وسابق بالخيرات - يأذن الله -.

وهؤلاء كلهم مستعدون للسير، موقنون بالرجوع إلى الله، ولكن متفاوتون في التزود وتعبئة الزاد واختياره، وفي نفس السير وسرعته وبطئه.¹

- "الدَّارُ الْآخِرَةُ": أي المستقر والمسكن الآخروي، وهو على نوعين لا ثالث لهما:

1- الجنة: دار النعيم المقيم، وهي دار الطيبين والتي لا يدخلها إلا الطيبون.

كما في قوله تعالى: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة الأنعام، الآية: 127].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [سورة الأنعام، الآية: 32].

وقوله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [سورة الرعد، الآية:

[24].

2- النَّارُ: دَارُ الْجَحِيمِ، وَهِيَ دَارُ الْحَيْثِينَ وَالَّتِي لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا الْحَيْثُونَ.

كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [سُورَةُ الرَّعْدِ، الْآيَةُ: 25].

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ [سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ، الْآيَةُ: 28].

فَالسَّيْرُ الْمَقْصُودُ هُنَا: هُوَ السَّيْرُ إِلَى اللَّهِ وَالِدَّارِ الْآخِرَةِ، وَهُوَ الَّذِي اصْطَلَحَ عَلَيْهِ عُلَمَاءُ التَّزْكِيَةِ وَالْعَقِيدَةِ بِاسْمِ: عِلْمِ السُّلُوكِ وَالتَّزْيِيَةِ، وَالتَّزْكِيَةِ، وَمَنَازِلِ السَّيْرِ وَالْعُبُودِيَّةِ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَالسُّلُوكُ:

— **لُغَةً:** السُّلُوكُ مَصْدَرُ سَلَكَ طَرِيقاً

وَسَلَكَ الْمَكَانُ بِهِ، وَفِيهِ، سَلَكَ وَسُلُوكاً؛ دَخَلَ وَنَفَذَ.

وَسَلَكَ الشَّيْءُ فِي الشَّيْءِ وَبِهِ؛ أَدْخَلَهُ وَسَلَكَ فُلَاناً الْمَكَانَ؛ أَدْخَلَهُ إِيَّاهُ.

وَالْمَسْلَكُ؛ الطَّرِيقُ وَمِنْهُ مَسَالِكُ الْمِيَاهِ.

وَالسُّلُوكُ؛ سِيرَةُ الْإِنْسَانِ وَمَذْهَبُهُ وَإِتِّجَاهُهُ، يُقَالُ فُلَانٌ حَسَنُ السُّلُوكِ أَوْ سَيِّئُ السُّلُوكِ.¹

1 معجم مقاييس اللغة (97/3) ت: عبد السلام هارون، ولسان العرب (2073/3) مادة سلك.

— أَمَّا اصْطِلَاحًا:

كَانَ مَعْرُوفًا عِنْدَ السَّلَفِ بِأَنَّهُ:

سُلُوكُ الطَّرِيقِ — الشَّرْعِيُّ السَّنِّي السَّلَفِيُّ الْأَثَرِيُّ — الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ إِلَيْهِ وَذَلِكَ بِ؛
تَهْذِيبٍ وَتَرْكِيبٍ النُّفُوسِ وَالْقُلُوبِ؛ بِتَخْلِيَّتِهَا وَتَنْزِيهِهَا وَتَطْهِيرِهَا مِنَ الْأَخْلَاقِ الرَّذِيلَةِ وَالْأَمْرَاضِ
الذَّمِيمَةِ، وَتَحْلِيَّتِهَا وَتَطْيِيبِهَا وَتَرْبِيَّتِهَا بِالْأَخْلَاقِ السَّيِّدَةِ وَالصِّفَاتِ الْحَمِيدَةِ، لِتَسِيرَ سَالِمَةً إِلَى صُحْبَةِ
الرَّفِيقِ الْأَعْلَى.

وَالْعَبْدُ فِي سَيْرِهِ إِلَى اللَّهِ يَمُرُّ بِأَحْوَالٍ وَمَقَامَاتٍ¹؛

— أَطْلَقَ عَلَيْهَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ: أَعْمَالَ الْقُلُوبِ.²

— وَأَطْلَقَ عَلَيْهَا ابْنُ قَيِّمٍ الْجَوَزِيَّةَ: مَنَازِلَ الْعُبُودِيَّةِ.³

— وَهِيَ؛ مَنَازِلُ السَّيْرِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.⁴

1 الفرقُ بَيْنَ الْمَقَامِ وَالْحَالِ فِي مُصْطَلَحِ الْمُتَصَوِّفَةِ؛ أَنَّ الْمَقَامَ؛ مَكَاسِبُ مِنَ الْعِبَادِ

وَتَحْصُلُ بِبَذْلِ الْجُهْدِ.

وَأَمَّا الْحَالُ؛ فَهِيَ مَوَاهِبُ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ لِعَبْدِهِ

وَلَا تَأْتِي إِلَّا مِنْ عَيْنِ الْجُودِ الرَّبَّائِيِّ.

2 كما في مجموع الفتاوى (10 / 605).

3 في كتابه مدارج السالكين (1 / 104).

4 فائدة : تعداد هذه المنازل وترتيبها وذكر أسمائها، الغالب فيها أنها اجتهادية، لذلك اختلف أهل العلم فيها؛

من حيث ذكر عددها.

ومن حيث ذكر أسمائها.

ومن حيث ذكر ترتيبها في الأولوية والأهمية...، وهذا بحث جدير بالتدقيق والتمحيص بالرجوع إلى نصوص

الوحيين، حتى يُنْأَى بهذا العلم الجليل عن مصطلحات وشطحات المتصوفة، والاجتهادات التي هي عن النصوص بعيدة.

— وَ السَّيْرُ فِي هَذِهِ الْمَنَازِلِ لَا يَكُونُ بِالْأَبْدَانِ وَإِنَّمَا يَكُونُ بِالْقُلُوبِ وَالْجَنَانِ؛

— كَمَا قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ رَجَبٍ¹؛

سَفَرُ الْآخِرَةِ يَقْطَعُ بِسِيرِ الْقُلُوبِ لَا بِسِيرِ الْأَبْدَانِ.

— وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ²؛

فَاعْلَمْ أَنَّ الْعَبْدَ إِنَّمَا يَقْطَعُ مَنَازِلَ السَّيْرِ إِلَى اللَّهِ؛ بِقَلْبِهِ وَهَمَّتِهِ لَا يَبْدَنِهِ.

— وَقَالَ بَعْضُهُمْ؛

قَطَعَ الْمَسَافَةَ بِالْقُلُوبِ إِلَيْهِ لَا بِالسَّيْرِ فَوْقَ مَقَاعِدِ الرُّكْبَانِ.

فَالسَّيْرُ إِلَى اللَّهِ هُوَ؛ سُلُوكُ صِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ الَّذِي يَبَيِّنُهُ لِعِبَادِهِ وَأَمَرَهُمْ بِهِ بِعِثَةِ النَّبِيِّ
وَالرَّسُولِ الْخَاتَمِ الْأَمِينِ، وَإِنزَالُهُ الْكِتَابَ الْمُهَيْمِنَ الْمُبِينِ، وَقَطْعُهُ يَكُونُ بِسَيْرِ الْقَلْبِ - وَالْجَوَارِحُ تَبَعٌ
لَهُ - إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ.

وَقَدْ جَعَلَ السَّلَفُ قُدُوتَهُمْ وَرَائِدَهُمْ فِي طَرِيقِهِمُ لِلْوُضُوءِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى إِمَامَ الْمُتَّقِينَ وَالسَّائِرِينَ
إِلَى اللَّهِ تَعَالَى: مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَنَهَجُوا نَهَجَهُ وَسَلَكُوا طَرِيقَهُ الْحَنِيفَ الَّذِي سَنَّهُ لَهُمْ غَيْرَ مُنْحَرِفِينَ وَلَا مُلْتَفِتِينَ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ
إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ،
الآيَةُ: 31].

وَقَدْ أَجْمَعَ الْعُقَلَاءُ عَلَى أَنَّ أَنْفَسَ مَا صُرِفَتْ لَهُ الْأَوْقَاتُ هُوَ؛ عِبَادَةُ رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ،
وَالسَّيْرِ فِي طَرِيقِ الْآخِرَةِ، وَبَذْلُ ثَمَنِ الْجَنَّةِ، وَالسَّعْيُ لِلْفِكَاكِ مِنَ النَّارِ.

1 في "الحجّة في سير الدّلة" 415.

2 في كتابه "الفوائد" صفحة 201 ط دار ابن الجوزي.

ولمّا كان هذا الطّريق كغيره من الطّرق والدُّروب تكتنّفه السّهول والوهاد والوديان والجبال والمقارز، ويترّص على جنباته قطّاع الطّرق ولُصوص القلوب، احتاج السّائر إلى تلمّس خِريّت¹ يُبصّره الدُّروب الآمنة، والمسالك الثّافذة، ويُعرّفه مَكامن اللُّصوص، وأفضل الأزمنة وأنسب الأوقات للجدّ في السّفر، وقد كان هذا الخِريّت هو مَنهج سلفنا الصّالح في النُّسك، وطرائقهم في السّير إلى الله، وعباراتهم في الدّلالة عليه كانت بحقّ خير مغوانٍ على انتحاء جهة الأمان.

وهذا النُّسك السّلفي العتيق، والمنهج السّني الرّشيد في التّزكية، لا غنى عنه لكلّ طالب طريق السّلامة، فلا عصمة لمنهج في مُجمّله إلّا منهج السّلف الصّالح.

دع عنك ما قاله العصري منتحلاً وبالعتيق تمسّك قط واعتصم

" فالواجب على العبد البحث عن خصال التّقوى وخصال الإحسان التي شرّعها الله في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم والتّقرب بذلك إلى الله عزّ وجلّ فإنّه لا طريق للعبد يوصله إلى رضى مولاه وقربه ورحمته وعفوه ومغفرته سوى ذلك².

و " طريق الإقتصاد والمقاربة أفضل من غيرها فمن سلكها فليبشر بالوصول فإنّ الإقتصاد في السّنة خير من الاجتهاد في غيرها وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم فمن سلك طريقه كان أقرب إلى الله من غيره.

وليست الفضائل بكثرة الأعمال البدنيّة لكن بكونها خالصة لله عزّ وجلّ صواباً على مُتابعة السّنة وبكثرة معارف القلوب وأعمالها.

فمن كان بالله أعرف وبدينه وأحكامه وشرائعه، وله أخوف وأحبّ وأرجى فهو أفضل ممّن ليس كذلك وإن كان أكثر منه عملاً بالجوارح³.

1 هو الدليل الحاذق في معرفة الطرق والمسالك والسبل.

2 " المحجّة في سير الدّلة " 408.

3 المصدر نفسه 412.

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - لِأَصْحَابِهِ: أَنْتُمْ أَكْثَرُ صَوْمًا وَصَلَاةً مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُمْ كَانُوا خَيْرًا مِنْكُمْ.

قالو : وَبِمَ ذَلِكَ ؟

قال: كَانُوا أَزْهَدَ مِنْكُمْ فِي الدُّنْيَا وَأَرْغَبَ فِي الْآخِرَةِ.^{1 2}

يُشِيرُ إِلَى أَنَّ الصَّحَابَةَ فاقُوا مَنْ بَعْدَهُمْ بِشِدَّةٍ تَعَلَّقَ قُلُوبُهُمْ بِالْآخِرَةِ وَرَغِبَتْهُمْ فِيهَا وَإِعْرَاضَهُمْ عَنِ الدُّنْيَا بِتَحْقِيرِهَا وَتَصْغِيرِهَا وَإِنْ كَانَتْ فِي أَيْدِيهِمْ فَكَانَتْ قُلُوبُهُمْ مِنْهَا فَارِغَةً وَبِالْآخِرَةِ مُمْتَلِئَةً.

وَهَذِهِ الْحَالُ وَرِثُوهَا مِنْ نَبِيِّهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّهُ كَانَ أَشَدَّ الْخَلْقِ فَرَاغًا بِقَلْبِهِ مِنَ الدُّنْيَا وَتَعَلُّقًا بِالْآخِرَةِ مَعَ مَلَابَسَتِهِ لِلْخَلْقِ بِظَاهِرِهِ وَقِيَامِهِ بِأَعْبَاءِ النُّبُوَّةِ وَسِيَاسَةِ الدِّينِ وَالْدُّنْيَا.³

فَأَفْضَلُ النَّاسِ مَنْ سَلَكَ طَرِيقَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخَوَاصُّ أَصْحَابِهِ فِي:
- الْإِقْتِصَادِ فِي الْعِبَادَةِ الْبَدِئِيَّةِ.

- وَالْإِجْتِهَادِ فِي الْأَحْوَالِ الْقَلْبِيَّةِ، فَإِنَّ سَفَرَ الْآخِرَةِ يَقْطَعُ بِسِيرِ الْقُلُوبِ لَا بِسِيرِ

الأبدان.⁴

1 رواه ابن المبارك في الزهد برقم (501) ط/حبيب الرحمن الأعظمي، وبرقم (462) ط/ أحمد فريد وقال: موقوف إسناداه صحيح، ورواه الحاكم في المستدرک (350/4) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، والبيهقي في جامع شعب الإيمان (374/7).

2 " المحجّة في سير الدّلة " 413.

3 " المحجّة في سير الدّلة " 414.

4 المصدر نفسه 415.

فَمَنْهَجُ التَّزَكِّيَةِ عِنْدَ السَّلَفِيِّينَ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُ الْأَثَرِ وَأَهْلُ الْحَدِيثِ، وَهُمْ كَذَلِكَ أَهْلُ الْإِتِّبَاعِ، فَهُمْ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ مِمَّا زَكَّى بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَفْسَ الصَّحَابَةِ الْكَرَامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَلَا يَبْتَدِعُونَ طُرُقًا لِلتَّزَكِّيَةِ، وَلَا يَنْتَهَجُونَ مِنَ الْمَنَاجِحِ مَا يُخَالِفُ نَهَجَ النُّبُوَّةِ، وَهُمْ يَضْبُطُونَ بِالْعِلْمِ اعْتِقَادَاتِهِمْ وَأَقْوَالَهُمْ وَأَعْمَالَهُمْ، وَنُلْخِصُ مَنَاجِحَ التَّزَكِّيَةِ عِنْدَ السَّلَفِيِّينَ فِي ثَلَاثَةِ أُمُورٍ:

- 1- التَّزَكِّيَةُ بِالْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ عَقِيدَةِ التَّوْحِيدِ، وَلَا يَكْفِيهِمْ ذَلِكَ حَتَّى تَتَعَبَّدَ قُلُوبُهُمْ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَتَمْتَلِئَ بِأَنْوَارِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَرَبُوبِيَّتِهِ وَإِلَهِيَّتِهِ.
- 2- التَّزَكِّيَةُ بِأَدَاءِ الْوَاجِبَاتِ وَتَرْكِ الْمَحْرَمَاتِ.
- 3- التَّزَكِّيَةُ بِالنَّوَافِلِ.¹

"وَقَدْ أَجْمَعَ عُلَمَاءُ الْقُلُوبِ عَلَى أَنَّ الْقُلُوبَ لَا تَصِلُ إِلَى مُنَاهَا حَتَّى تَصِلَ إِلَى مَوْلَاهَا، وَلَا تَصِلُ إِلَى مَوْلَاهَا حَتَّى تَكُونَ صَحِيحَةً سَلِيمَةً زَكِيَّةً، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، فَكُلَّمَا طَابَتِ النَّفْسُ وَزَكَتْ قَرَّبَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَتَسْعَدُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَتَأْنَسُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَتَسْتَغْنِي بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَكُلَّمَا عَصَى الْعَبْدُ رَبَّهُ وَصَغَّرَ نَفْسَهُ وَحَقَّرَهَا بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ طَرَدَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ حَضْرَتِهِ، وَأَبْعَدَهُ بِقَدْرِ جِنَايَتِهِ، فَتَحْدُثُ الْوَحْشَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ عِبَادِ اللَّهِ الْمُؤْمِنِينَ، فَلَوْ حَصَلَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِجَذَائِفِهَا لَمْ تُعَوِّضْهُ هَذِهِ الْوَحْشَةُ.

فَالْوَاجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ حَتَّى تَزَكُو نَفْسُهُ أَنْ يَسْتَسْلِمَ لِشَرِّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، بَعْدَ أَنْ يَتَحَقَّقَ قَلْبُهُ بِالتَّوْحِيدِ".²

فَالطَّرِيقُ الْمَوْصِلُ إِلَى اللَّهِ وَاحِدٌ: وَهُوَ صِرَاطُ الْمُسْتَقِيمِ، وَبَيَّةُ السُّبُلِ كُلِّهَا سُبُلُ الشَّيْطَانِ، مَنْ سَلَكَهَا قَطَعَتْ بِهِ عَنِ اللَّهِ، وَأَوْصَلَتْهُ إِلَى دَارِ سَخَطِهِ وَغَضَبِهِ وَعِقَابِهِ.³

1 التَّزَكِّيَةُ بَيْنَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالصُّوفِيَةِ تَأَلَّفَ أَحْمَدُ فَرِيدُ الصَّفْحَةِ 12.

2 التَّزَكِّيَةُ بَيْنَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالصُّوفِيَةِ تَأَلَّفَ أَحْمَدُ فَرِيدُ الصَّفْحَةِ 5.

3 "الْحَجَّةُ فِي سِيرِ الدُّلَّةِ" 425.

✓ صَحَّةُ نِسْبَتِهَا إِلَى مُؤَلِّفِهَا:

— فَقَدْ قَالَ تَلْمِيزُ الشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعْدِيِّ الشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَقِيلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَهُوَ مِنْ أَخَصِّ تَلَامِيذِهِ:
وَلَهُ رَحِمَهُ اللَّهُ مَنُظُومَةٌ شِعْرِيَّةٌ فِي السَّيْرِ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.¹

— وَقَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ الْعَزِيزِ مُحَمَّدُ السَّلْمَانُ فِي كِتَابِهِ "مَجْمُوعُ الْقَصَائِدِ الزَّهْدِيَّاتِ" (225/1):
لِشَيْخِنَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ نَاصِرِ السَّعْدِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ. أ. هـ.
ثُمَّ سَاقَ مَنُظُومَتَهُ.

— وَكَذَلِكَ ذَكَرَ الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ الْبَدْرُ حِفْظَهُ اللَّهُ²، بَعْدَ أَنْ عَدَّدَ مَجْمُوعَةً مِنْ مُؤَلَّفَاتِ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ؛
مَنُظُومَةٌ فِي السَّيْرِ إِلَى اللَّهِ وَالْأَرَاخِرَةِ.. وَلَهُ تَعْلِيْقٌ عَلَى هَذِهِ الْمَنُظُومَةِ طُبِعَ مَعَهَا وَفَرِّغَ مِنْهَا فِي
3 شَعْبَانَ سَنَةِ 1333 هـ.

✓ سَبَبُ تَأْلِيفِ الْمَنُظُومَةِ:

الظَّاهِرُ أَنَّ الشَّيْخَ أَلْفَاها لَمَّا رَأَى خُلُوءَ سَاحَةِ التَّأْلِيفِ مِنْ مَنُظُومَةٍ فِي عِلْمِ التَّزَكِّيَةِ عَلَى مَنَهِجِ السَّلَفِ تَشْتِمِلَ عَلَى أُصُولِ التَّزَكِّيَةِ وَقَوَاعِدِهَا بِأَسْلُوبٍ مُيسِّرٍ سَهْلٍ قَرِيبِ الْمُتَنَاوَلِ تَكُونُ سُلْماً يُرْتَقَى بِهِ إِلَى كُتُبِ ابْنِ الْقَيِّمِ وَشَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ.. ثُمَّ إِلَى كُتُبِ السَّلَفِ بَعْدَ ذَلِكَ.

1 " الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ السَّعْدِيُّ كَمَا عَرَفْتَهُ " صَفْحَةُ 41 بِعَنَايَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْعَسْكَرِ.

2 فِي دِرَاسَتِهِ " الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ السَّعْدِيُّ وَجُهودُهُ فِي تَوْضِيحِ الْعَقِيدَةِ " صَفْحَةُ 63.

✓ عَدَدُ أَيْتَاتِهَا:

اشتملت هذه المنظومة على؛ ثمانية عشر (18) بيت من الشعر.

✓ بحر المنظومة:

هذه المنظومة من: "البحر الكامل"؛

ووزنه بحسب الدائرة العروضية:

مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ

مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ

✓ من ثناء أهل العلم على "منظومة السير إلى الله والدَّارِ الآخِرَةِ":

قال الشيخ عبد الرزاق البدر في "شرح الأول على المنظومة":

وهي منظومة رائعة جدًا في بابها.

✓ من معالم منهج ابن سعيدي في منظومته:

أما موضوعها فقد سبق الإشارة إليه عند التعريف بعنوان المنظومة؛ فهي في الحث على حسن عبادة الله، ومحبتة، والإنابة إليه، والحث على سلوك الطريق المستقيم المبين، الموصول إلى رب العالمين ودار السلام للمؤمنين السالكين، هذا من حيث العموم.

1 — فَمِنْ حَيْثُ الْعِلْمِ الَّذِي تَنْدَرِجُ ضِمَّتُهُ:

فهي متعلقة بعلم التزكية والسلوك ومنازل السائرين في العبودية إلى الله سبحانه.

2 — ومن حيث الموضوعات والمباحث التي تطرّق إليها في منظومته فهي؛

1. تحقّق السعادة الكاملة بتحقيق السير إلى الله سبحانه.
2. شرطاً قبول السير - العمل الظاهر والباطن -؛
— الإخلاص.
— والمتابعة.
3. سير المؤمن إلى الله دائماً بين الخوف والرجاء.
4. قلب المؤمن مملوء بمحبة الله سبحانه.
5. لسان المؤمن مديم لذكر محبوبه سرّاً وعلناً وعلى كلّ حالٍ.
6. الاستقامة والثبات في السير إلى الله.
7. الاجتهاد في السير إلى الله مع الاعتراف بالتقصير والتقصان والزلل.
8. السائر إلى الله مجاهد لنفسه بكافة أنواع الصبر.
9. السائر إلى الله راضٍ بكلّ ما قضى الله تعالى له.
10. السائر إلى الله شاكر لله سبحانه.
11. السائر إلى الله متوكّل على ربّه حقّ التّوكّل في جميع شؤونه.
12. السائر إلى الله عابد لله تعالى على مرتبة الإحسان.
13. السائر إلى الله حريص على النصّح للخلق بما فيه نفعهم حالاً ومآلاً.
14. السائر إلى الله يبدنه مع الناس وبقليه مع الله سبحانه.
15. السائر إلى الله في خوفٍ دائمٍ من نقصان إيمانه وسيره إلى الله.
16. السائر إلى الله فرغ قلبه عن الشّواغل وملاًه بحبّ الله والاشتغال به.
17. السائر المتّصف بما سبق ذكره من أوصافٍ هو الأجدر بأن يتخذ رفيقاً وصاحباً ليكون حادياً للسير إلى الله سبحانه وتعالى.

✓ طَبَعَاتُ " مَنْظُومَةِ السَّيْرِ إِلَى اللَّهِ وَالْأَرِ الْآخِرَةِ " وَ جُھُودُ الْعُلَمَاءِ فِي

خِدْمَتِهِ:

— طُبِعَتْ ضَمَنَ " المِمْوَعَةُ الْكَامِلَةُ لِمُؤَلَّفَاتِ الشَّيْخِ عِبْدِ الرَّحْمَنِ بِنِ نَاصِرِ السَّعْدِيِّ " (169/10 - 181)، الطَّبْعَةُ الْأُولَى (1411هـ)، مَعَ شَرْحٍ مَخْتَصَرٍ لِمُؤَلَّفِهَا بِاسْمِ: " تَعْلِيقُ لَطِيفٍ عَلَى مَنْظُومَةِ فِي السَّيْرِ إِلَى اللَّهِ وَالْأَرِ الْآخِرَةِ "، ثَمَّ طُبِعَتْ المِمْوَعَةُ مُؤَخَّرًا مَعَ زِيَادَاتٍ مُؤَلَّفَاتٍ أُخْرَى لَمْ تُطْبَعْ مِنْ قَبْلُ، وَجَاءَتْ المَنْظُومَةُ وَشَرْحُهَا فِي المِمْوَعَةِ (29/26 - 38)، بِاسْمِ " مِمْوَعُ مِمْوَلَّاتِ الْعِلَامَةِ الشَّيْخِ عِبْدِ الرَّحْمَنِ بِنِ نَاصِرِ السَّعْدِيِّ "، عَنِ دَارِ المِيمَانِ الطَّبْعَةُ الْأُولَى (1432هـ).

— طُبِعَتْ ضَمَنَ مِمْوَعَةٍ تُحْتَوِي بَعْضَ مُؤَلَّفَاتِ الشَّيْخِ عِبْدِ الرَّحْمَنِ السَّعْدِيِّ، الصَّفْحَةُ (131 - 147) مَعَ شَرْحٍ مَخْتَصَرٍ لِمُؤَلَّفِهَا بِاسْمِ: " تَعْلِيقُ لَطِيفٍ عَلَى مَنْظُومَةِ فِي السَّيْرِ إِلَى اللَّهِ وَالْأَرِ الْآخِرَةِ "، أَشْرَفَ عَلَى طَبْعِهِ وَتَصْحِيحِهِ؛ الشَّيْخُ عِبْدُ الرَّحْمَنِ حَسَنُ مَحْمُودٍ، وَهُوَ مِنْ عُلَمَاءِ الْأَزْهَرِ.

— طُبِعَتْ ضَمَنَ كِتَابِ " مِمْوَعُ الْقَصَائِدِ الزَّهْدِيَّاتِ " (225/1) لِلشَّيْخِ عِبْدِ الْعَزِيزِ المَحْمَدِ السَّلْمَانِ، الطَّبْعَةُ الْأُولَى (1409هـ)، وَأُفْرِدَتْ فِيهَا المَنْظُومَةُ بِالطَّبْعِ دُونَ شَرْحِ مُؤَلَّفِهَا.

— طُبِعَتْ فِي آخِرِ كِتَابِ " الْوَسَائِلِ الْمُفِيدَةِ لِلْحَيَاةِ السَّعِيدَةِ "؛ بِاعْتِنَاءِ الشَّيْخِ عِبْدِ الرَّزَّاقِ الْبَدْرِ، وَأُفْرِدَتْ فِيهَا المَنْظُومَةُ بِالطَّبْعِ دُونَ شَرْحِ مُؤَلَّفِهَا.

قُلْتُ: وَقَدْ اعْتَمَدْتُ عَلَيْهَا جَمِيعَهَا فِي المُقَارَنَةِ لِإِخْرَاجِ هَذِهِ الطَّبْعَةِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ.

✓ من شُرُوحَات " مَنْظُومَةِ السَّيْرِ إِلَى اللَّهِ وَالْأَرِ الْآخِرَةِ " ¹:

أ- الْمَطْبُوعَةُ:

ومِنْهَا:

[1] شرحُ المؤلِّفِ نَفْسِهِ وَطُبِعَتْ عِدَّةُ طَبَعَاتٍ مِنْهَا؛

— الطَّبَعَتَيْنِ السَّالِفَتَيْنِ ذِكْرُهُمَا فِي طَبَعَاتِ الْمَنْظُومَةِ.

— وَطُبِعَ بِاسْمِ: " الدُّرَّةُ الْفَآخِرَةُ فِي التَّعْلِيقِ عَلَى مَنْظُومَةِ السَّيْرِ إِلَى اللَّهِ وَالْأَرِ الْآخِرَةِ " كَذَا سَمَّاهَا الْمُعْتَنِي؛ أَبُو مُحَمَّدٍ أَشْرَفُ عَبْدِ الْمَقْصُودِ، طُبِعَ عَنْ دَارِ أَضْوَاءِ السَّلَفِ، الطَّبَعَةُ الْأُولَى (1419هـ).

— وَطُبِعَ أَيْضاً بِاسْمِ: " الدُّرَّةُ الْفَآخِرَةُ فِي التَّعْلِيقِ عَلَى مَنْظُومَةِ السَّيْرِ إِلَى اللَّهِ وَالْأَرِ الْآخِرَةِ " ²، كَذَا سَمَّاهَا الْمُعْتَنِي بِهَا؛ طُبِعَ عَنْ دَارِ ابْنِ الْقِيَمِ وَدَارِ ابْنِ عَفَّانَ بِالْإِشْتِرَاقِ، الطَّبَعَةُ الْأُولَى (1424هـ).

[2] " اللَّأَلَى الْبَاهِرَةُ فِي شَرْحِ مَنْظُومَةِ السَّيْرِ إِلَى اللَّهِ وَالْأَرِ الْآخِرَةِ " شرحُ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ رِيَاضِ الْأَحْمَدِ، طُبِعَ عَنِ الدَّارِ الْأَثَرِيَّةِ.

1 و مِنْ اللَّهِ عَلِيٍّ بِشَرْحِ عَلَيْهَا يَسِّرَ اللَّهُ إِيَّامَهُ وَتَبْيِضُهُ بِاسْمِ: " الْحُجَّةُ الْبَاهِرَةُ فِي شَرْحِ مَنْظُومَةِ السَّيْرِ إِلَى اللَّهِ وَالْأَرِ الْآخِرَةِ ".

2 وَقَدْ شَرَحَهَا الشَّيْخُ خَالِدُ إِسْمَاعِيلَ فِي (27) شَرِيطاً، وَكَذَا الشَّيْخُ مُحَمَّدُ سَعِيدُ رِسْلَانِ فِي شَرِيطِ وَاحِدٍ.

[3] "الأشواق العاطرة شرح قصيدة في السير إلى الله والدار الآخرة" شرح أحمد معبد عيسى أحمد، موجود في الشبكة العنكبوتية.

ب- المسموعة:

وهي كثيرة و متنوعة؛ من حيث الاختصار والطول، ومن حيث منهجية الشرح وأسلوب العرض، ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

[1] شرح الشيخ عبد الرزاق البدر الأول في (10) أشرطة.
والثاني في (5) أشرطة.
والثالث في شريطين.

○ تنبيه :

عدد الأشرطة المسجلة قد يتغير بحسب تصرف بعض الإخوة المتخصصين في الصوتيات بتقسيمها باعتبارات معينة فليتنبه.

■ فائدة:

وقد أُلقي هذا المتن إلقاءً صوتياً مُسجَلاً مِنْ قِبَل:

- الأخ أبي أحمد الشَّيْطمي المغربي.

المنظومة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- سَعِدَ الَّذِينَ تَجَنَّبُوا سُبُلَ الرَّدَى [1] وَتَيَمَّمُوا لِمَنْزِلِ الرِّضْوَانِ
- فَهُمُ الَّذِينَ قَدْ أَخْلَصُوا فِي مَشِيهِمْ [2] مُتَشَرِّعِينَ بِشِرْعَةِ الْإِيمَانِ
- وَهُمُ الَّذِينَ بَنَوْا مَنْزِلَ سَيْرِهِمْ [3] بَيْنَ الرَّجَا وَالْخَوْفِ لِلدِّيَانِ
- وَهُمُ الَّذِينَ مَلَأُوا قُلُوبَهُمْ [4] بِوِدَادِهِ وَمَحَبَّةِ الرَّحْمَانِ
- وَهُمُ الَّذِينَ قَدْ أَكْثَرُوا¹ مِنْ ذِكْرِهِ [5] فِي السِّرِّ وَالْإِعْلَانِ وَالْأَخْيَانِ

1 في طبعة مجموعة مؤلفات الشيخ عبد الرحمن السعدي، وكذا طبعة الشيخ عبد الرحمن حسن محمود وطبعة الشيخ عبد العزيز محمد السلطان، و الطبعة التي باعته الشيخ عبد الرزاق البدر؛ "هم الذين قد أكثروا"، و الوارد في طبعة دار ابن القيم؛ "وَهُمُ الَّذِينَ أَكْثَرُوا مِنْ ذِكْرِهِ".

يَتَقَرَّبُونَ إِلَى الْمَلِكِ بِفَعْلِهِمْ [6] طَاعَاتِهِ وَالتَّزَكُّ لِلْعِضَيَّانِ¹

فَعَلَ الْفَرَائِضَ وَالتَّوَافَلَ دَأْبُهُمْ [7] مَعَ رُؤْيَا التَّقْصِيرِ وَالتَّقْصَانِ

صَبَرُوا النُّفُوسَ عَلَى الْمَكَارِهِ كُلِّهَا [8] شَوْقاً إِلَى مَا فِيهِ مِنْ إِحْسَانِ

نَزَلُوا بِمَنْزِلَةِ الرِّضَى فَهُمْ بِهَا [9] قَدْ أَصْبَحُوا فِي جُنَّةٍ² وَأَمَانِ

شَكَرُوا الَّذِي أُولَى الْخَلَائِقَ فَضْلَهُ [10] بِالْقَلْبِ وَالْأَقْوَالِ وَالْأَزْكَانِ

صَحِبُوا التَّوَكُّلَ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ [11] مَعَ بَذْلِ جَهْدٍ فِي رِضَى الرَّحْمَانِ

عَبَدُوا الْإِلَهَ عَلَى اعْتِقَادِ حُضُورِهِ [12] فَتَبَوَّءُوا فِي مَنْزِلِ الْإِحْسَانِ

نَصَحُوا الْخَلِيقَةَ فِي رِضَى مَحَبُّوبِهِمْ [13] بِالْعِلْمِ وَالْإِزْشَادِ وَالْإِحْسَانِ

1 هذا البيت سقط من طبعة الشيخ عبد الرزاق البدر.

2 كذا في طبعة مجموعة مؤلفات الشيخ عبد الرحمن السَّعْدِي، وطبعة الشيخ عبد العزيز المحمد السَّالْمَانِ؛ ضبطها بالضم وهو الأقربُ إلى معنى البيت ومُرَادِهِ، وفي طبعة الشَّيْخِ عبد الرحمن حسن محمود، وطبعة دار ابن القيم؛ بِالْفَتْحِ!؟.

صَحِبُوا الْخَلَائِقَ بِالْجُسُومِ وَإِنَّمَا [14] أَرْوَاحُهُمْ فِي مَنْزِلٍ فَوْقَانِي

أَلَا بِاللَّهِ دَعَوَاتُ الْخَلَائِقِ وَالْمَشَاهِدِ كُلِّهَا¹ [15] خَوْفًا عَلَى الْإِيمَانِ مِنْ نُقْصَانِ

عَزَفُوا الْقُلُوبَ عَنِ الشَّوَاعِلِ كُلِّهَا [16] قَدْ فَرَّغُوهَا مِنْ سِوَى الرَّحْمَنِ

حَرَكَاتُهُمْ وَهُمُومُهُمْ وَعُزُومُهُمْ [17] لِلَّهِ، لَا لِلْخَلْقِ وَالشَّيْطَانِ

نِعْمَ الرَّفِيقُ لِطَالِبِ السُّبُلِ الَّتِي [18] تُفْضِي إِلَى الْخَيْرَاتِ وَالْإِحْسَانِ

1 هذا البيت سقط من طبعة الشيخ عبد العزيز الحمد السلمان، وفي البيت إشكالٌ بهذا المبنى لفظاً، ومعناً، ومِمَّا يُوَكِّد ذلك شرحُ الشَّيْخ عبد الرحمن بن السَّعْدِي لهذا البيت، إذ ذكر أنَّ هذه المَنْزِلَةُ هي؛ " مَنْزِلَةُ الرَّعَايَةِ لِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ وَمَشَاهِدِ الْإِحْسَانِ " .

فلعلَّ الصَّوَابُ فِي الْبَيْتِ: [(أَلَا بِاللَّهِ دَعَوَاتُ الْخَلَائِقِ وَالْمَشَاهِدِ كُلِّهَا)] (أ) كما ذكره الشَّيْخ عبد الرزَّاق - حفظه الله - (ب)، وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّهُ الصَّوَابُ: لِأَجْلِ الْمَعْنَى الْمُتَعَلِّقِ بِمَوْضُوعِ الْمَنْظُومَةِ: [أَلَا بِاللَّهِ رَعَوْتُ الْحَقَائِقَ وَالْمَشَاهِدَ كُلِّهَا] والله تعالى أعلم.

(أ) كما في الطبعة التي باعته الشَّيْخ عبد الرزاق البدر و طبعة مجموعة مؤلفات الشَّيْخ عبد الرحمن السَّعْدِي، أمَّا في طبعة الشَّيْخ عبد الرحمن حسن محمود؛ (أَلَا بِاللَّهِ دَعَوَاتُ الْخَلَائِقِ وَالْمَشَاهِدِ كُلِّهَا)، وفي طبعة دار ابن القيم؛ (بِاللَّهِ دَعَوَاتُ الْخَلَائِقِ كُلِّهَا) ؟!

(ب) في شرحه على المنظومة (سمعي) وقال: نَحْتَاجُ إِلَى نَظَرٍ فِي الْمَخْطُوطِ.

الْخَاتِمَةُ

أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى حُسْنَهَا لِي وَلِسَائِرِ السَّائِرِينَ إِلَى اللَّهِ وَالْدَّارِ الْآخِرَةِ، وَأَخْتَمُ هَذَا الْعَمَلَ بِنُقُولَاتٍ مُخْتَصَرَةٍ مُعْتَصِرَةٍ - عَنْ عُلَمَاءٍ شَمَّرُوا فِي السَّيْرِ فَكَانُوا مِنَ السَّابِقِينَ - تَحْمِلُ قَوَاعِدَ عَظِيمَةٍ وَفَوَائِدَ جَلِيلَةٍ لِمَنْ أَرَادَ سُلُوكَ طَرِيقِ السَّيْرِ بِأَمْنٍ وَإِيمَانٍ وَسَلَامَةٍ وَإِسْلَامٍ.

مَنَارَاتُ لِسُلُوكِ الطَّرِيقِ إِلَى اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ؛

○ مَعْرِفَتُهُ - سُبْحَانَهُ - غَايَةُ الْمَعَارِفِ.

وَعِبَادَتُهُ أَشْرَفُ الْمَقَاصِدِ.

وَالْوُصُولُ إِلَيْهِ غَايَةُ الْمَطَالِبِ.

مجموع الفتاوى (8-7/5).

○ خُلِقَ الْقَلْبُ لِلسَّفَرِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَالْدَّارِ الْآخِرَةِ.

التبيان في أيمان القرآن صفحة 627 ط/عالم الفوائد.

○ النَّاسُ فِي هَذِهِ الدَّارِ عَلَى جَنَاحِ سَفَرٍ كُلُّهُمْ، وَكُلُّ مُسَافِرٍ فَهُوَ ظَاعِنٌ إِلَى مَقْصَدِهِ، وَنَازِلٌ عَلَى مَنْ يُسَرُّ بِالنُّزُولِ عَلَيْهِ، وَطَالِبٌ إِلَى اللَّهِ وَالْدَّارِ الْآخِرَةِ إِنَّمَا هُوَ ظَاعِنٌ إِلَى اللَّهِ فِي حَالِ سَفَرِهِ، وَنَازِلٌ عَلَيْهِ عِنْدَ الْقُدُومِ عَلَيْهِ، فَهَذِهِ هِمَّتُهُ فِي سَفَرِهِ وَفِي انْقِضَائِهِ.

الفوائد 424 طبعة دار ابن جوزي.

يَا قَاعِدًا سَارَتْ بِهِ أَنْفَاسُهُ سَيْرَ الْبَرِيدِ وَلَيْسَ بِالذَّمْلَانِ
حَتَّى مَتَى هَذَا الرُّقَادُ وَقَدْ سَرَى وَفَدُ الْمَحَبَّةِ مَعَ أُولَى الْإِحْسَانِ

النونية؛ البيت (4109 – 4110).

○ طَالِبُ اللَّهِ وَالْدَّارِ الْآخِرَةِ لَا يَسْتَقِيمُ لَهُ سَيْرُهُ وَطَلَبُهُ إِلَّا بِحَبْسَيْنِ:

– حَبَسَ قَلْبَهُ فِي طَلَبِهِ وَمَطْلُوبِهِ.

– وَحَبَسَهُ عَنِ الْإِلْتِفَاتِ إِلَى غَيْرِهِ.

الفوائد 427 طبعة دار ابن الجوزي.

○ قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ: الْعَارِفُ يَسِيرُ إِلَى اللَّهِ بَيْنَ:

– مُشَاهَدَةِ الْمِنَّةِ – أَيْ مِنَّةِ اللَّهِ عَلَيْهِ –

– وَمُطَالَعَةِ عَيْبِ النَّفْسِ وَالْعَمَلِ.

الوابل الصيب 10-11 طبعة/ عالم الفوائد.

○ لَا بُدَّ لِلسَّالِكِ مِنْ :

عِلْمٌ يُبَصِّرُهُ وَيَهْدِيهِ.
وَهِمَّةٌ تُسَيِّرُهُ وَتُرْقِيهِ.

مدارج السالكين 457/1.

○ السَّائِرُ إِلَى اللَّهِ وَالْدارِ الْآخِرَةِ، بَلْ كُلُّ سَائِرٍ إِلَى مَقْصِدٍ، لَا يَتِمُّ سِيرُهُ وَلَا يَصِلُ إِلَى مَقْصُودِهِ إِلَّا بِقَوْتَيْنِ:

قُوَّةٌ عِلْمِيَّةٌ.
وَقُوَّةٌ عَمَلِيَّةٌ.

فَبِالْقُوَّةِ الْعِلْمِيَّةِ يُبَصِّرُ مَنَازِلَ الطَّرِيقِ، وَمَوَاضِعَ السُّلُوكِ؛ فَيَقْصِدُهَا سَائِرًا فِيهَا، وَيَجْتَنِبُ أَسْبَابَ الْهَلَاكِ، وَمَوَاضِعَ الْعَطَبِ، وَطُرُقَ الْمَهَالِكِ الْمُنْحَرِفَةِ عَنِ الطَّرِيقِ الْمَوْصِلِ.

فَقُوَّتُهُ الْعِلْمِيَّةُ؛ كَنُورٍ عَظِيمٍ بِيَدِهِ، يَمْشِي بِهِ فِي لَيْلَةٍ عَظِيمَةٍ مُظْلِمَةٍ شَدِيدَةِ الظُّلْمَةِ، فَهُوَ يُبَصِّرُ بِذَلِكَ النُّورِ مَا يَقَعُ الْمَاشِي فِي الظُّلْمَةِ فِي مِثْلِهِ؛ مِنَ الْوَهَادِ وَالْمِتَالِفِ، وَيَعْتَرِ بِه مِنَ الْأَحْجَارِ وَالشُّوكِ وَغَيْرِهِ...

وَبِالْقُوَّةِ الْعَمَلِيَّةِ؛ يَسِيرُ حَقِيقَةً، بَلِ السَّيْرُ هُوَ حَقِيقَةُ الْقُوَّةِ الْعَمَلِيَّةِ، فَإِنَّ السَّيْرَ هُوَ عَمَلُ الْمَسَافِرِ.

طريق الهجرتين، وباب السعادتين، (397/1) ط / عالم الفوائد

فهرس المحتويات

المَوْضُوعَات	الصَّفْحَة
المُقَدِّمَة	9 - 6
التَّعْرِيفُ بِالمَوْءَفِّ	25 - 13
التَّعْرِيفُ بِالمَوْءَفِّ	47 - 28
مَنْظُومَة فِي السَّيْرِ إِلَى اللَّهِ وَالدَّارِ الْآخِرَةِ	53 - 49
الخَاتِمَة	63 - 61
فهرس المحتويات	65